

تأثير المبالغين

د. جمال الدين محمد علي تبيدي*

مقدمة

المتأمل في أحوال البشر يجد أن كل من عمل عملاً، أو اتخذ رأياً أو مذهباً أو اعتقد اعتقاداً فإنه يستحسنه ويدافع عنه، فإن كان يعمل الصالحات استحسنها ودافع عنها. وإن كان يعمل السيئات استحسنها ودافع عنها. وإن كان على الهدى رآه حسناً، وإن كان على الضلال رآه حسناً كذلك! فهذه طبيعة في الإنسان. والذين يدعون من دون الله شركاء مع علمهم وتسليمهم بأن الله هو الخالق الرازق لكن إذا دعوا إلى نبذ آلهتهم وعبادة الله وحده اندفعوا وعادوا عما يعتقدونه من ألوهية الله، دفاعاً عما زين لهم من عبادتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وتقاليدهم.

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] يجد أنها وصية وأمر من الله تعالى لنبيه موسى وهارون عليهما السلام إذ أرسلهما إلى الطاغية فرعون الذي بلغ في الكفر أقصى غاية: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. فاعتصب الألوهية والربوبية فعامله الله بالإحسان والرفق واللين كما يظهر ذلك في الآيات الكريمة لرسوليه موسى وهارون عليهما السلام فقال له موسى عليه السلام: ﴿فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ﴾ [النازعات: ١٨-١٩].

فالدعوة إلى الله تعالى تتطلب الحلم وسعة الصدر والقدرة على احتمال الأذى في سبيل تبليغ الحق وإظهاره على المناهج والأديان والمذاهب البشرية كلها، فإذا قبل

* أستاذ مساعد بقسم العقيدة، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، ورئيس قسم العقيدة سابقاً.

الطرف الآخر الدعوة فيها ونعمت وإن لم يقبلها وأراد العيش بسلام فتجب معاملته بالبر والقسط والإحسان كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَنَبَّهُوا عَلَيْهِ الَّذِينَ الَّذِينَ لَمْ يَغْتَبِوْا فِي الدِّينِ وَلَهُمْ جِزْوَتٌ مِّمَّنْ دَبَّرَكُمْ أَن تَرَوْهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. وإن كان من أهل الكتاب المسلمين فإن التعايش يصل إلى درجة المشاركة في الطعام كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥]. بل تمتد المشاركة إلى الفراش والولد كما في بقية الآية: ﴿وَالْمُخَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

فإذا نظرت في الأديان والأعراف والمذاهب فلن تجد مثل هذا التسامح والتعاش
إلا في الإسلام وتعاليمه وتشريعاته السمحة.

فالإسلام مع حرصه على تكوين الأسرة المسلمة باختيار الزوجة الصالحة ذات الدين كما قال النبي ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لَأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» (١)، فإنه يسمح بنكاح المحصنات العفيفات من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهل تجدد تسامحاً وتعاضلاً مع المخالفين في العقائد الذين يسميهم الإسلام بالكفار والمشركين من اليهود والنصارى أعظم مما جاء به الإسلام.

ومن اللين والرفق في التعامل مع المخالفين للحق الأمر بالصبر والنهي عن القتال في أول الأمر حتى مع المعتدين، وكذلك النهي عن الإكراه على قبول الحق كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

كما نهى عن السب والشتم للكافرين والمشركين فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ﴾
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿[الأنعام: ١٠٨]. قال القرطبي رحمه الله (٢):

”فهى سبحانه المؤمنين أن يسبوا أوثانهم، لأنه علم إذا سبوها نفر الكفار وازدادوا كفرة“.

وقال الشوكاني^(٣) تَعَلَّقَهُ فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ: ”وما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله، المتصدين لبيانها للناس، إذا كان بين قوم من الصم البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه، وتركوا غيره من المعروف. وإذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات، عناداً للحق وبغضاً لاتباع المحقين، وجراءة على الله سبحانه“^(٤).

وفي تفسير الرازي^(٥) تَعَلَّقَهُ: ”إن موسى وهرون مع جلال منصبهما أمرا بالرفق واللين مع فرعون، وكذلك محمد ﷺ مأمور بالرفق وترك الغلظة وكذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. [الأعراف: ١٩٩]“^(٦).

وفي تفسير الرازي أيضاً: ”لأن هذا الشتم كان يستلزم إقدامهم على شتم الله وشتم رسوله، وعلى فتح باب السفاهة، وعلى تنفيرهم عن قبول الدين، وإدخال الغيظ والغضب في قلوبهم، فلكونه مستلزماً لهذه المنكرات، وقع النهي عنه“^(٧).

وفي ظلال القرآن: ”ومع أمر الرسول ﷺ بالإعراض عن المشركين، فقد وجه المؤمنين إلى أن يكون هذا الإعراض في أدب، وفي وقار، وفي ترفع، يليق بالمؤمنين. لقد أمروا ألا يسبوا آلهة المشركين مخافة أن يحمل هذا أولئك المشركين على سب الله سبحانه - وهم لا يعلمون جلال قدره وعظيم مقامه - فيكون سب المؤمنين لألهتهم المهينة الحقيمة ذريعة لسب الله الجليل العظيم: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ

عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّاتُ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ [الأنعام: ١٠٨] (٨).

كما نهى النبي ﷺ عن سب الأموات وسب الدهر ونهى عن سب الديك ونهى عن سب الريح، كما نهى عن سب الصحابة الكرام الذين مدحهم الله تعالى في القرآن الكريم ورضي عنهم كما يبدو ذلك جلياً في الأحاديث التالية:

- قال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا» (٩).
- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ» (١٠).
- وقال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (١١).
- وقال: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» (١٢).
- وقال: «لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ» (١٣).
- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمَرْتَ بِهِ وَتَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمَرْتَ بِهِ» (١٤).
- وقال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا تَبَعًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ» (١٥).
- بل ورد في صريح الأمر النبوي النهي عن سب أكبر الفاسقين والمفسدين وهو الشيطان الرجيم، فقد قال رسول الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الشَّيْطَانَ وَتَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ» (١٦).

فإذا كان الحق ظاهراً فلا بد من اجتذاب الكافرين إليه برفق ولطف ولين في القول فإن الرفق ما وضع في شيء إلا زانه ولأن الطعن واللعن لا يجدي في الإصلاح فليس

المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء مع المؤمنين والكافرين بل يقول للناس حسناً.

فإذا كان ذلك الرفق مع الكافرين المخالفين لنا في العقيدة من المشركين واليهود والنصارى فكيف بأهل القبلة من المسلمين الذين اجتهدوا في فهم أصول الدين وكان مقصدهم تنزيه رب العالمين وإن أخطأ كثير منهم في مسائل التنزيه في الصفات والقدر وإقامة شعائر الدين والحكم على أهل الطاعة والعاصين. فأهل الفرق من المسلمين كالجهمية والمعتزلة والخوارج والشيعة وغيرهم من أهل القبلة الذين يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله مجتهدون وإن كانوا مخطئين في اجتهداتهم فهم مأجورون كالمجتهدين في الفروع تماماً لا فرق بينهم وبين أهل المذاهب الفرعية من الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة.

ولكن هنالك من الناس من يؤثم المخالفين له في الفروع كما يؤثم أهل الفرق العقائدية، كما قال أحد كبار علماء المذهب الحنفي: "وفي الخلاصة والبرزازية من كتاب النكاح عن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل من قال أنا مؤمن إن شاء الله فهو كافر لا تجوز المناكحة معه قال الشيخ أبو حفص في فوائده لا ينبغي للحنفي أن يزوج بنته من رجل شَفَعَوِيٍّ المذهب وهكذا قال بعض مشايخنا ولكن يتزوج بتهم، زاد في البرزازية تنزيلاً لهم منزلة أهل الكتاب أ.هـ." (١٧).

وفي البحر الرائق أيضاً في حكم الماء الفاسد: "أن ما عُجِنَ به قال بعضهم يُلقى إلى الكلاب وقال بعضهم يعلف المواشي وقال بعضهم يُباع لرجل شافعي المذهب أو داودي المذهب أ.هـ." (١٨).

فهذه حال الفجور في الخصومة بين الفقهاء، أما بين المختلفين في أصول الدين فأمرهم أشد، إذ يكثر بينهم من يكفر مخالفه وإن كان من أهل القبلة الذين يشهدون لله ﷻ بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة ويصدقون بالقرآن ويحتكمون للشريعة، وهو مما

عمت به البلوى عند كثير من الأصوليين. ولو لم يبلغ به الأمر حد التكفير تجده يبالغ في سبه ولعنه بما لا يليق صدوره من مسلم في حق أخيه. وليتأمل متأمل قول القحطاني^(١٩) رحمه الله في سب المعتزلة والأشعرية في نونيته المشهورة^(٢٠):

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| تعس العمي أبو العلاء فإنه | قد كان مجموعاً له العيمان |
| ولقد نظمت قصيدتين بمجوه | أبيات كل قصيدة مثنان |
| والآن أمحو الأشعري وحزبه | وأذيع ما كتبوا من البهتان |

...

...

| | |
|-------------------------|-----------------------|
| الله صيرني عصا موسى لكم | حتى تلقف إفككم ثعباني |
|-------------------------|-----------------------|

...

...

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| يا أشعرية هل شعرتم أنني | رمد العيون وحكة الأجفان |
| أنا في كبود الأشعرية قرحة | أربو فأقتل كل من يشناني |

...

...

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| أنا همكم أنا غمكم أنا سقمكم | أنا سمكم في السر والإعلان |
| فوحق جبار على العرش استوى | من غير تمثيل كقول الجاني |
| ووحق من ختم الرسالة والهدى | بمحمد فزها به الحرمان |
| لأقطعن معولي أعراضكم | ما دام يصحب مهجتي جثماني |
| ولأهجونكم وأثلب حزبكم | حتى تغيب جثتي أكفاني |
| ولأهتكن بمنطقتي أستاركم | حتى أبلغ قاصياً أو داني |
| ولأهجون صغيركم وكبيركم | غيظاً لمن قد سبني وهجاني |
| ولأنزلن إليكم بصواعقي | ولتحرقن كبودكم نيرانني |
| ولأقطعن بسيف حقي زوركم | وليخمدن شواظكم طوفاني |
| ولأقصدن الله في خيل لانكم | وليمنعن جسمكم حملاني |
| ولأجملن على عناء طغاتكم | حمل الأسود على قطع الضان |
| ولأرمينكم بصخر يجانقي | حتى يهد عتوكم سلطاني |

ولأكتبن إلى البلاد بسبكم فيسير سير البزل بالركبان

...

...

يا أشعرية يا أسافلة الوري يا عمي يا صم بلا آذان

ويظهر من قوله ككذلك: "غيطاً لمن قد سبني وهجاني" أنه نظم هذه القصيدة ردّاً على نفر بدوؤه بالسباب والله تعالى أعلم.

وأما ما بين الجماعات الدعوية والطرق في عصرنا هذا من العداوة والتفسيق والتكفير فأمره أشهر من أن يذكر، فكل جماعة تكفر أختها أو تلعنّها أو تسبها أقذع سباب، فيقع من يسلك هذه المسالك في مهاوي المهالك من حيث يدري أو لا يدري، ويخالف الهدى النبوي القويم والصراط الرباني المستقيم، وهو ما سطرت هذا البحث من أجل تفصيله وبيانها، والله الموفق والمستعان.

ملاحج المنهج الإسلامي في مخاطبة المخالفين

١. مخاطبة أهل الكتاب وندائهم بما لا يكرهون

من المعلوم أن الإسلام هو الدين الحق وأن ما سواه هو الباطل ونلاحظ مع ذلك في القرآن الكريم تسمية أهل الباطل بأسماء مثل «أهل الكتاب» مع أن الكتاب المقصود هنا هو كتاب الله الذي خالفوه وحرفوه ونبذوه وراء ظهورهم وهو بريء منهم ولا علاقة لهم به ومع ذلك سمى القرآن اليهود والنصارى بأهل الكتاب في أكثر من عشرة مواضع حيث دعاهم إلى كلمة سواء ونهاهم عن الغلو والكفر بآيات الله والصد عن سبيل الله وعدم لبس الحق بالباطل وترك الجدل في إبراهيم والاستجابة إلى الرسول وإقامة التوراة والإنجيل للذين يشهدان بنبوّة محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله ﷺ: ﴿يَتَّاهَلُ

الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٥﴾ [آل عمران: ٦٥]، وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلِيْسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَقْلُمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٧١]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدِّدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: ٩٩]، وقوله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مَنَآ إِلَىٰ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]، ومثل هذه الآيات.

٢. مخاطبة المشركين في القرآن الكريم

ومثلاً تلتطف الخطاب القرآني مع اليهود والنصارى فعل ذلك مع المشركين ففي القرآن المكي خاطبهم الله ﷻ أكثر من عشرين مرة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، دون مناداتهم بالكافرين أو المشركين. فمنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، وقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّن تَرَابٍ﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِن خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [فاطر: ٣]، وقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا

النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿٥﴾ [فاطر: ٥]، وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

فهذا النداء اللطيف لا يتنافى مع وصفهم بالمشركين والكافرين فهم في الآية الأولى يعبدون الأصنام التي لا تخلق ذبابة وفي الثانية هم من أهل الشك وفي الثالثة من أهل البغي وفي الرابعة هم من منكري البعث وهكذا ولكنه أسلوب الرفق في الخطاب من أجل الدعوة ومثل ذلك كلمة «يا قوم» التي كثرت على لسان الأنبياء عليهم السلام.

وربما تغير الخطاب إلى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾ [الكافرون: ١] إذا قامت عليهم الحجة وأصروا على الكفر ودعوا إلى المساومة الساذجة بعبادته شهراً والعودة للأصنام شهراً ولكن ليس ذلك الأصل في الخطاب القرآني.

الحلم والرفق مع المخالفين والمعادين

فالمسلم يستطيع أن يمتص الغضب ويكظم الغيظ ويحلم وينظر إلى العدو بعين الرحمة حتى في حال اعتدائه عليه كما فعل نبي من الأنبياء وقد ضربه قومه حتى سال دمه فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، ففي البخاري^(٢١) عن النبي ﷺ يَحْكِي «نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُوهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٢٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤]، وهذا أمر صريح في القرآن الكريم بملاطفة الأعداء ومقابلة الإساءة منهم بالإحسان، وتحمل أذى الخلاق من أجل الخالق والتجمل بأخلاق الدعوة إلى الله كما يبدو ذلك في أقوال المفسرين وأهل العلم.

فمنهم الطبري (٢٣) رحمه الله الذي قال في الآية المذكورة: "أفعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفته إياك وبرّه لك، وليّ لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، والحميم: هو القريب" (٢٤).

وفي تفسير ابن كثير (٢٥) رحمه الله: "وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢١) وَمَا يُلْقِنَهَا ﴿أي هذه الوصية﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ (٢٢) وَمَا يَزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٣)﴾، وقال رحمه الله أيضاً: ﴿وَمَا يَزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠)﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، فهذه الآيات الثلاث في الأعراف والمؤمنون وحم السجدة، لا رابع لهن، فإنه تعالى يرشد فيهن إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف والتي هي أحسن، فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. ثم يرشد تعالى إلى الاستعاذة به من شيطان الجان، فإنه لا يكفه عنك الإحسان، وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية، فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك" (٢٦).

وفي تفسير ابن كثير أيضاً: قال مرشداً له إلى الترتيب النافع في مخالطة الناس، وهو الإحسان إلى من يسيء، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة، فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وهذا كما قال في الآية الأخرى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢١) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ (٢٢)﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥]، أي ما يلهم هذه الوصية أو الخصلة أو الصفة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، أي: على أذى الناس، فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح، ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: في الدنيا والآخرة" (٢٧).

وفي تفسير القرطبي (٢٨): "قال ابن عباس: أمره الله تعالى في هذه الآية بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم. وروي أن رجلاً شتم قنبراً مولى علي بن أبي طالب فناداه علي يا قنبر، دع شاتمك، واله عنه ترضي الرحمن وتسخط الشيطان، وتعاقب شاتمك، فما عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه" (٢٩).

وفي الظلال: "ويختتم هذا الشوط برسم صورة الداعية إلى الله، ووصف روحه ولفظه، وحديثه وأدبه، ويوجه إليها رسوله ﷺ وكل داعية من أمته. وكان قد بدأ السورة بوصف جفوة المدعويين وسوء أدبهم، وتبجحهم النكير. ليقول للداعية: هذا هو منهجك مهما كانت الأمور: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِنَّمَا يَزْعَمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)﴾ [فصلت: ٣٣-٣٦]. النهوض بواجب الدعوة إلى الله، في مواجهة التواءات النفس البشرية وجهلها واعتزازها بما ألفت، واستكبارها أن يقال: إنها كانت على ضلالة، وحرصها على شهواتها وعلى مصالحها، وعلى مركزها الذي قد تهدده الدعوة إلى إله واحد، كل البشر أمامه سواء.

إن النهوض بواجب الدعوة في مواجهة هذه الظروف أمر شاق، ولكنه شأن عظيم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء. ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات. فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ. ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقى كلمته بالإعراض، أو بسوء الأدب، أو بالتبجح في

الإنكار. فهو إنما يتقدم بالحسنة، فهو في المقام الرفيع، وغيره يتقدم بالسيئة، فهو في المكان الدون: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾، وليس له أن يرد بالسيئة، فإن الحسنة لا يستوي أثرها كما لا تستوي قيمتها مع السيئة. والصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر، يرد النفوس الجائعة إلى الهدوء والثقة، فتقلب من الخصومة إلى الولاء، ومن الجحاح إلى اللين: ﴿السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٠).

وفي تفسير القشيري (٣١): "ادفع بالخصلة التي هي أحسن السيئة يعني بالعفو عن المكافأة، وبالتجاوز والصفح عن الزلة، وترك الانتصاف: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، يشبه الولي الحميم، ولم يصر ولياً مخلصاً، وهذا من جملة حسن الأدب في الخدمة في حق صحبتك مع الله، تحلم مع عباده لأجله. ومن جملة حسن الخلق في الصحبة مع الخلق ألا تنتقم لنفسك، وأن تعفو عن خصمك" (٣٢).

أهل القبلة

وإذا رأينا منهج القرآن في اللين وخفض الجناح مع غير المسلمين فما هو منهجه مع أهل الملة ممن اختلفوا في اجتهادهم في فهم بعض المسائل من أصول الدين وفروعه؟

وأصل ذلك أن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة كما قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَوَاضُعِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِأَلْحَمَى وَالسَّهَرِ» (٣٣)، وقال رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى عَيْنَهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسَهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ لَهُمْ اسْمًا وَاحِدًا وَسَمَاءَهُمُ الْمُسْلِمِينَ»: ﴿هُوَ سَمْعُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨] (٣٤).

وجميع أهل القبلة من ذلك الجسد: معتزلهم وأشعرهم وجهمهم وشيعهم وإباضهم وسنيهم من أهل الفرق، وكذلك حنفهم ومالكيهم وشافعيهم وحنبلهم من أهل المذاهب، وكذلك أصحاب الاختيارات المختلفة في مناهج الدعوة والإصلاح كالسلفيين والبلاغيين والإخوان والصوفيين فكلهم ينطقون بالشهادتين ويصلون إلى القبلة ولا يستطيع أحد أن يخرج مسلماً من الملة لمخالفته في المذهب أصولياً كان أو فروعياً أو المسلك أو الحزب لأن لكل من نطق بالشهادتين حقاً معلومة كما في صحيح البخاري قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَآكَلَ ذَيْبَحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ» (٣٥).

والناس متساوون عند الله تعالى فهو لا ينظر إلى ألوانهم ولا إلى أنسابهم ولا إلى اختلاف ألستهم وإنما ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (٣٦).

وخطب النبي ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ رَبُّكُمْ وَاحِدٌ وَأَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبْلَغْتُ؟ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمَ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمَ حَرَامٍ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٍ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبْلَغْتُ؟ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ لِيُبْلِغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» (٣٧).

فالناس عند الله تعالى لا يتفاضلون بألوانهم ولا بألستهم إلا بشيئين هما العلم والتقوى لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقوله: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالزنجي والعربي والفارسي والرومي في الإسلام سواء لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالعلم والتقوى، فعلى المسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتركوا كل دعاوى الجاهلية المخالفة لتلك المعايير الربانية.

التحذير من الاقتراق

نهى الله تعالى عن الاختلاف فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فهذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج وذلك أن رجلاً من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج فساءه ما هم عليه من الاتفاق والإلفة فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعث وتلك الحروب ففعل فلم يزل ذلك دأبه حتى حمت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتناوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم وتلا عليهم هذه الآية فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح ﷺ (٣٨).

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مِنْ وَلاهِ اللَّهِ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ» (٣٩).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا بِدَعَايِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَاءِ جَهَنَّمَ، قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: نَعَمْ، فَادْعُوا بِدَعْوَةِ اللَّهِ الَّتِي سَمَّاكُمْ بِهَا الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ» (٤٠).

وقد حذر الله تعالى من الافتراق في كثير من الآيات فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْزَعُوا فَنفَشِلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وقال: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

دعائم الأخوة الإسلامية

ويجب على المسلمين مراعاة دعائم الأخوة فيما بينهم ومنها:

١. إحسان الظن بالمسلمين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّمَا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعضُكُم بَعضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ» (٤١).

فالمسلم من أهل القبلة يجب موالاته وعدم التعرض له بسوء لأن له عهداً عند الله وحرمة لا تنتهك، كما قال ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِزُّهُ» (٤٢).

٢. تولى المؤمنين بعضهم وتعاونهم وتناصرهم

أمر الله ﷻ المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى وفعل الخير فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢]، ومدح المتعاونين والمتناصرين فقال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤]. وأوضح أن من التعاون على البر والتقوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك من موجبات الرحمة فقال ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة: ٧١].

٣. التقوى والصلاح

تقوم الأخوة بين المؤمنين الانقياء المستقيمين المقيمين للصلاة المتحابين المتكافلين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. فمن اتصف بذلك فهو أخ في الدين كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَتُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفَصُ الْآيَةِ لِلْقَوْمِ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [التوبة: ١١].

وأولئك إخوة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر: ٤٧].

٤. إفساء السلام

فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾ [النساء: ٨٦]، وقال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ

وَرَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحِيمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا إِيْجَهَلًا لَمْ تُعْرَفْ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال ﷺ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وإفشاء السلام ليس المراد به التحية باللسان فقط وإنما المراد به المحبة القلبية وترويض النفس على ذلك حتى يتحقق قوله ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تُحَابُّوا، أَوْ لَا أَذْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تُحَابِّبْتُمْ؛ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٤٣).

فإذا كان دخول الجنة مرهوناً بتحباب المسلمين لبعضهم فعليهم الالتزام بذلك إذا كانوا حريصين على دخول الجنة، ففي الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه (٤٤) قال: قالوا يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (٤٥).

٥. اللين والعفو

أمر الله ﷻ بالعفو والصفح واللين ومدح نبيه بذلك فقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنْ لَيْسَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وحث المؤمنين على العفو فقال: ﴿إِنْ يُبَدُوا خَيْرًا أَوْ يُخَفَّوْهُ أَوْ تُعَفَّوْهُ عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤].

وذكر العفو والمغفرة في صفات الصالحين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبْرَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

وتكفل الله ﷻ بأجرهم فقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال ﷺ: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

ومن الرفق واللين عدم التنطع والغلو مع المخالفين في الرأي والمذهب إذا كانوا من أهل القبلة ممن يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فلا يجوز لعنهم ولا تفسيقهم ولا تكفيرهم ولا إخراجهم من الملة. وهذا هو الهدى النبوي كما يظهر في قصة الصحابي عبد الله الحمار^(٤٦) رضي الله عنه، ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب^(٤٧) رضي الله عنه أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٤٨).

وفيه عن أبي هريرة^(٤٩) رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه فلما انصرف قال رجل ما له أخزاه الله فقال رسول الله ﷺ: «لَا تَكُونُوا عَوْنِ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ»^(٥٠).

مذهب أهل الحق عدم تكفير أهل القبلة

إن عدم تكفير المخالفين من أهل القبلة ومهاجرتهم هو الحق والصواب، وذلك لكثرة الآيات والأحاديث الدالة على أخوة المسلم للمسلم ووجوب المحبة له وترك التنقيب عن البواطن، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

والأحاديث في ذلك كثيرة منها:

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِزُّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ» (٥١).

• ومنها حديث أنس بن مالك (٥٢) رضي الله عنه الذي تقدم قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَيْحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ» (٥٣).

• ومنها عن عبد الله بن عمرو (٥٤) رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (٥٥).

• وعن أبي سعيد الخدري (٥٦) رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بَطُونَهُمْ» (٥٧).

حديث افتراق الأمة

روى الترمذي (٥٨) رحمه الله وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَالنَّصَارَى عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» (٥٩).

وذكر الإمام الشاطبي (٦٠) حديث افتراق الأمة في كتابه الاعتصام وتكلم عليه في مائة صفحة (٦١) وأخرج منه ٢٦ مسألة منها:

• أن بين الاختلاف والافتراق فرقاً.

- وأن الاختلاف واقع في الأمة بسبب التزايدات في أمور الدنيا مثل المال والأرض والماء ونحو ذلك وقد تقع الاختلافات في مسائل الفروع وليس ذلك المقصود بل الافتراق المقصود هو ما يقع بسبب اختلاف الفهم في المسائل الأصولية كالقدر والصفات ونحو ذلك.
- وفي الحديث أيضاً أن الفرق كلها داخلية في مسمى الأمة وذلك يعني أنهم جميعاً مسلمون لهم ما للمسلمين من الحقوق.
- كما في الحديث إثبات الوعيد وهو التهديد بالنار للمخالفين في الأصول ولكن ليس معنى ذلك كفرهم وخلودهم في النار وقد يرد الوعيد لأهل الكبائر من المسلمين بالنار، ففي صحيح البخاري (٦٢): «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»، وفيه أيضاً (٦٣) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الَّذِي يُخْنَقُ نَفْسُهُ يُخْنَقُهَا فِي النَّارِ وَالَّذِي يَطْعُنُهَا يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ».
- وفي الحديث مسائل أخرى وفوائد كثيرة.
- ولا ينبغي أن يوصف المخالفون لمذهب السلف من أهل الفرق بالكفر أو الضلال، وقد أنكر الإمام القاسمي (٦٤) على الإمام مالك تكفير الروافض من الشيعة، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، حيث أورد في محاسن التأويل أن الحافظ ابن كثير نقل عن الإمام مالك تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة ثم علق عليه القاسمي بقوله: "ولا يخفأك أن هذا خلاف ما اتفق عليه المحققون من أهل السنة والجماعة، أن المجتهد كيفما كان مأجور غير مأزور، ناهيك بمسألة عدالتهم المتعددة أقوالها.

ومن المعروف في سنن الاجتماع أن كل طائفة قوي شأنها وكثر سوادها لا بد أن يوجد فيها الأصل والدخيل والمعتدل والمتطرف والغالي والمتسامح وقد وجد بالاستقراء أن صوت الغالي أقوى صدًى وأعظم استجابة، لأن التوسط منزلة الاعتدال، ومن يحرص عليه قليل في كل عصر ومصر. وأما الغلو فمشرب الأكثر، ورغبة السواد الأعظم، وعليه درجت طوائف الفرق والنحل فحاولت الاستئثار بالذكرى، والتفرد بالدعوى، ولم تجد سبيلاً لاستتباع الناس لها إلا الغلو بنفسها، وذلك بالخط من غيرها والإيقاع بسواها حسبما تسنح لها الفرص، وتساعدتها الأقدار، إن كان بالسنان، أو اللسان“ (٦٥).

وقال: ”وأول من فتح هذا الباب - باب الغلو في إطالة اللسان بالمخالفين - الخوارج. فأتى قاداتهم عامتهم من باب التكفير لتستحكم النفرة من غيرهم، وتقوى رابطة عامتهم بهم ثم سرى هذا الداء إلى غيرهم، وأصبحت غلاة كل فرقة تكفر غيرها وتفسقه أو تبدعه وتضلله لذاك المعنى نفسه، حتى قبض الله تعالى من الأئمة من قام في وجه أولئك الغلاة وزيف رأيهم، وعرف لخيار كل فرقة رأيهم وأقام لكل منهم ميزان أمثالهم“ (٦٦).

وقال القاسمي أيضاً **تَحْكُمُ**: ”هذه الفرقة - يعنى المعتزلة - من أعظم الفرق رجالاً، وأكثرها تابعاً، فإن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة، وكذلك شيعة الأقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية ومثلهم الزيدية في اليمن فإنهم على مذهب المعتزلة في الأصول“ (٦٧).

وقال أيضاً: ”ربما يظن قليل الاطلاع أن المعتزلة - وإن شئت فقل القدرية - فئة لا يؤبه لهم، ولا يقام لهم وزن، لأنهم في نظر الأعشى كالمارقة، ولكن ماذا يكون جوابه إذا تلونا عليه أسماء القدرية من السلف، وقلنا له: هم على ما رواه الإمام ابن قتيبة في

المعارف...“، ثم ذكر القاسمي أسماء ثلاثين ممن روى لهم الشيخان البخاري ومسلم من القدرية (٦٨).

ثم قال: ”نعم إن هؤلاء المبتدعين وأمثالهم لم يكونوا معصومين عن الخطأ حتى يعدوهم الانتقاد. ولكن لا يستطيع أحد أن يقول إنهم تعمدوا الانحراف عن الحق، ومكافحة الصواب عن سوء نية وفساد طوية وغاية ما يقال في الانتقاد في بعض آرائهم: إنهم اجتهدوا فيه فأخطأوا.

وبهذا كان ينتقد على كثير من الأعلام سلفاً وخلفاً لأن الخطأ من شأن غير المعصوم. وقد قالوا: المجتهد يخطئ ويصيب، فلا غضاضة ولا عار على المجتهد إن أخطأ في قول أو رأي، وإنما الملام على أن ينحرف عن الجادة عامداً متعمداً ولا يتصور ذلك في مجتهد ظهر فضله وزخر علمه“ (٦٩).

وقال القاسمي رحمته الله: ”وقد ذهب الغزالي إلى أن الإثم غير محطوط عن المخالفين في مسائل الأصول. وحجته اتفاق سلف الأمة على ذم المبتدعة ومهاجرتهم، وقطع الصحبة معهم وتشديد الإنكار عليهم، مع ترك التشديد على المختلفين في مسائل الفرائض وفروع الفقه. هذا ما احتج به الغزالي. وعجيب من مثله أن يعد هذا دليلاً على تأييمهم. وأي مناسبة بين الدعوى والدليل؟ على أن دعوى الاتفاق على ذم المبتدعة ومهاجرتهم مردودة بتلقي أئمة الحديث عن كثير منهم، وحمل السنن النبوية عنهم وجعلهم في الآثار حجة بينهم وبين ربهم“. وينعى القاسمي على ابن تيمية (٧٠) وابن القيم (٧١) وأمثالهما من السلفيين رحمهم الله جميعاً رميهم لمخالفهم من الصوفية والأشاعرة بالكفر والفسوق فيقول: ”لا عبرة برمي شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأمثالهما رحمهم الله بالإلحاد مثل النصير الطوسي (٧٢) وابن عربي (٧٣) وبعض الأشاعرة المتأولين لآيات الصفات وآثارها فإن ذلك منه ومن أمثاله حمية مذهبية وغيره على نصرة ما قوي لديه. وقد عهد في العالم الغيور الذي لا يتسع صدره لخلاف الخصم أن

يحمل عليه أمثال هذا وأعظم. وإلا فالنصير قد علم أن له مؤلفات في فن الكلام خدمت وشرحت، وكلها مما يبرئه عن الإلحاد والزندقة. وعقيدته ومشربه وترجمته المحفوظة تبرئه من مثل ذلك. وابن عربي حق الباحث معه المنكر عليه أن ينكر عليه موضعاً لا يحتمل التأويل، ويقول ظاهره إلحاد. إلا أن الرجل له عقيدة نشرها أولاً، ومذهب في الفقه حسن. فمثله لا يسوغ رميه بالإلحاد“.

الخاتمة

ما نحب أن نؤكد عليه في خاتمة هذا البحث أن أهل الفرق والمذاهب الإسلامية مجتهدون، وكما أن اسم الاجتهاد يتناول في عرفهم فروع الفقه، وكذلك مسائل الكلام، لعموم مفهومه لغة واصطلاحاً ووجوداً، فإن الفرق التي تنوع اجتهادها في مسائل الكلام ربما تربو على مجتهد الفروع، وكيف لا تكون من المجتهدين وهي تستدل وتحكم وتبرهن وتقضي وتجادل خصومها بآخذها وترى أن ما تستدل عليه هو الحق الذي لا يعقد على سواه ولا يدان الحق تعالى بغيره.

وجلي أن ما يبعث على بذل الجهد في الفروع، هو نظير ما يبعث عليه في الأصول، أو أعظم منه، فإن مسألة الرؤية وخلق الأعمال وخلق القرآن لما تشابهت الآيات والأخبار فيها، ذهب كل فريق إلى ما رآه أوفق لكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، وألقى بعظمة الله سبحانه، وثبات دينه. فكانوا لذلك مجتهدين، وفي اجتهادهم مأجورين، وإن كانوا في القرب من الحق متفاوتين.

وحكى القاسمي في محاسن التأويل قول العنبري^(٧٤): ”كل مجتهد مصيب حتى في الأصول“^(٧٥)، وأن أهل الفرق الإسلامية لا يهجرون ولا يعادون.

إن التنازع بالألقاب والتباغض لأجلها الذي أحدثه المتأخرون وفرقوا به بين الأمة، عقوا به أئمتهم وسلفهم أمثال البخاري ومسلم والإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله ومن

ماثلهم من الأئمة الأبرار، وقطعوا به رحم الأخوة الإيمانية الذي عقده تعالى بينهم في كتابه العزيز وجمع تحت لوائه كل من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد من رسله.

فإذن كل من ذهب إلى رأي محتجاً عليه ومبرهنأ بما غلب على ظنه، وبعد بذل قصارى جهده، وصلاح نيته في توخي الحق، فلا ملام عليه ولا تثريب، لأنه مأجور على أي حال، ولمن قام عنده دليل على خلافه، واتضح له المحجة في غيره، أن يجادله بالتي هي أحسن، ويهديه إلى سبيل الرشاد.

ولو كانت الفرق التي رميت بالابتداع تهجر وتكفر لمذاهبها، وتعادى لأجلها، لما أخرج البخاري ومسلم أحاديث كثيرة في الصحيحين لبعض الشيعة والخوارج والقدرية وغيرهم من أهل فرق الابتداع.

ويمكن تخطيطة المخالفين دون تكفيرهم، فأهل السنة إذا خالف أحدهم صاحبه قال له أخطأت، ولكن أهل البدعة إذا خالف أحدهم في الاجتهاد قال له كفرت، وهنا تكمن المصيبة ويقع الافتراق، والله المستعان وبالله التوفيق.

الهوامش

- (١) انظر صحيح البخاري كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين ح (٤٨٠٢) وصحيح مسلم كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين ح (١٤٦٦).
- (٢) انظر تفسير القرطبي ٦٠/٧.
- (٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد سنة ١١٧٣هـ وتوفي سنة ١٢٥٠هـ، وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفاً، منها نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وغيرها. انظر الأعلام للزركلي ٢٩٨/٦، موسوعة الأعلام ٣١٣/١.
- (٤) انظر فتح القدير ٤٦١/٢.
- (٥) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر، أوجد زمانه في المعقول والنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ. انظر الأعلام للزركلي ٣١٣/٦.
- (٦) انظر تفسير الرازي ٢٠٢/٢.
- (٧) انظر تفسير الرازي ٤٣٢/٦.
- (٨) انظر في ظلال القرآن ١٢٠/٣.
- (٩) انظر صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما ينهى من سب الأموات ح (١٣٢٩) وكتاب الرقاق باب سكرات الموت ح (٦١٥١) وسنن النسائي كتاب الجنائز باب النهي عن سب الأموات ح (١٩٣٦).
- (١٠) انظر سنن الترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الشتم ح (١٩٨٢) ومسند الإمام أحمد بن حنبل حديث المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه ٢٥٢/٤ ح (١٨٢٣٤) و (١٨٢٣٥).
- (١١) انظر صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ح (٣٤٧٠) ومسند الإمام أحمد بن حنبل مسند أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ٦٣/٣ ح (١١٦٢٦).
- (١٢) انظر صحيح مسلم كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب النهي عن سب الدهر ح (٢٢٤٦) ومسند الإمام أحمد بن حنبل مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ٣٩٥/٢ ح (٩١٢٦) و ٤٩١/٢ ح (١٠٣٧٢) و ٤٩٩/٣ ح (١٠٤٨٤) وحديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه ٢٩٩/٥ ح (٢٢٦٠٥) و ٣١١/٥ ح (٢٢٧٠٦).

(١٣) انظر سنن أبي داود كتاب الأدب باب ما جاء في الديك والبهايم ح (٥١٠١) وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ٤٤٠/٢.

(١٤) انظر سنن الترمذي كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في النهي عن سب الرياح ح (٢٢٥٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، ومسنّد الإمام أحمد بن حنبل حديث عبد الرحمن بن أبيزي عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ١٢٣/٥ ح (٢١١٧٦)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٥٥/٦ رقم (٢٧٥٦).

(١٥) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث أبي مالك سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه ٣٤٠/٥ ح (٢٢٩٣١) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٢٢/٥ برقم (٢٤٢٣)، وانظر أيضاً ٢١٦/٥ رقم (٢٢١٧).

(١٦) قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٤٧/٥: "رواه أبو طاهر المخلص ٢/١٩٦/٩ و عنه الديلمي ١٤٨/٤ ومما في فوائده ١/١٢٢ وأبو عبد الله الغضائري في أحاديثه ٢/٢٠٤ عن عبد الغفار بن داود أبي صالح الحراني قال: حدثنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً. قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الغفار بن داود فمن رجال البخاري".

(١٧) انظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٢٢٣/٤.

(١٨) انظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٤٧٣/١.

(١٩) هو أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي.

(٢٠) انظر نونية القحطاني ٤٩.

(٢١) هو شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم البخاري صاحب الصحيح والتصانيف. ولد سنة ١٩٤هـ وتوفي سنة ٢٥٦هـ. انظر تذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢.

(٢٢) انظر صحيح البخاري كتاب الأنبياء حديث الغار ح (٣٢٩٠) وكتاب استنابة المرتدين المعاندين وقتالهم باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح نحو قوله السام عليكم ح (٦٥٣٠).

(٢٣) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم. وله التصانيف العظيمة منها تفسير القرآن وهو أحلّ التفاسير، لم يؤلف مثله كما ذكره العلماء قاطبة. ولد سنة ٢٢٤هـ ومات سنة ٣١٠هـ. انظر طبقات

المفسرين ١٦/١، الأعلام للزركلي ٦٩/٦.

(٢٤) انظر تفسير الطبري ٤٧١/٢١.

(٢٥) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين حافظ مؤرخ ولد في قرية من أعمال بصرى الشام وانتقل مع أبيه إلى دمشق ورحل في طلب العلم حتى صار من الأئمة المشار إليهم وتوفي بدمشق وهو صاحب التفسير المشهور والبداية والنهاية في التاريخ. توفي سنة ٧٧٤هـ. انظر الأعلام للزركلي ٣٢٠/١، موسوعة الأعلام ٤٧٩/١.

(٢٦) انظر تفسير ابن كثير ٥٣٣/٣.

(٢٧) انظر تفسير ابن كثير ٤٩٢/٥.

(٢٨) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمغنية ابن خصيب في شمالي أسبوط، مصر وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ. انظر الأعلام للزركلي ٣٢٢/٥.

(٢٩) انظر تفسير القرطبي ٣٦٢/١٥.

(٣٠) انظر في ظلال القرآن ٢٩٥/٦.

(٣١) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير بن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام، شيخ خراسان في عصره، زهداً وعلماً بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها. من كتبه التيسير في التفسير ويقال له التفسير الكبير ولد سنة ٣٧٦هـ ومات سنة ٤٦٥هـ. انظر طبقات المفسرين ١٢/١، الأعلام للزركلي ٥٧/٤.

(٣٢) انظر تفسير القشيري ١٤٣/٧.

(٣٣) انظر شعب الإيمان للبيهقي في الحادي والستين من شعب الإيمان قصة إبراهيم في

المعاقبة (٨٧٠١).

(٣٤) انظر صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم

ح (٢٥٨٦).

(٣٥) انظر صحيح البخاري كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجله ح (٣٨٤)

وكتاب الأضاحي باب من ذبح قبل الصلاة أعاد ح (٥٢٤٣) وسنن النسائي كتاب الإيمان وشرائعه باب صفة المسلم ح (٤٩٩٧).

(٣٦) انظر صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه

وعرضه وماله ح (٢٥٦٤).

(٣٧) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ ٤١١/٥ ح (٢٣٥٣٦).

(٣٨) انظر تفسير ابن كثير ٣٩٠/١.

(٣٩) انظر صحيح مسلم كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه ح (١٧١٥) ومسنند الإمام أحمد بن حنبل مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ٣٥٩/٢ ح (٨٧٠٣) و٣٦٧/٢ ح (٨٧٨٥).
(٤٠) أخرجه الطيالسي وأحمد وابن حبان والبخاري في تاريخه والترمذي وصححه والنسائي والموصلي وابن خزيمة وابن حبان والباوردي وابن قانع والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الشعب.
(٤١) تقدم تخريجه.

(٤٢) انظر صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناحش ونحوها ح (٢٥٦٣) وباب تحريم ظلم المسلم وغضله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ح (٢٥٦٤) ومسنند الإمام أحمد بن حنبل مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ٣٦٥/٢ ح (٨٧٠٧).
(٤٣) انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن حجة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها ح (٥٤) ومسنند الإمام أحمد بن حنبل مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ٣٩١/٢ ح (٩٠٧٣) و٤٤٢/٢ ح (٩٧٠٧) و٤٩٥/٢ ح (١٠٤٣٥).

(٤٤) هو الصحابي الجليل عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب هاجر إلى النبي ﷺ فقدم مع جعفر زمن فتح خيبر واستعمله النبي ﷺ مع معاذ على اليمن ثم ولي لعمر الكوفة والبصرة وكان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله إليه انتهى في حسن الصوت بالقرآن روى علماً طيباً مباركاً وأقرأ القرآن حدث عنه طارق بن شهاب وابن المسيب والأسود وأبو وائل وأبو عبد الرحمن السلمي وربيعي بن حراش وأبو عثمان النهدي وخلق، أقرأ أهل البصرة وأفقههم. مات رضى سنة ٤٤هـ. انظر تذكرة الحفاظ ٢٤/١، سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٣، تقريب التهذيب ٣١٨/١.

(٤٥) انظر صحيح البخاري كتاب الإيمان باب أي الإسلام أفضل ح (١١) وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل ح (٤٢) وسنن النسائي كتاب الإيمان وشرائعه باب أي الإسلام أفضل ح (٤٩٩٩) وسنن الدارمي من كتاب الرقاق باب في حفظ اللسان ح (٢٧١٢).

(٤٦) من الصحابة اسمه عبد الله ويلقب حماراً، رضى. انظر أسد الغابة ٢٨١/١.

(٤٧) هو الصحابي الجليل وثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قُروط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي، أمير المؤمنين، مشهور بحم المناقب استشهد رضى في ذي الحجة سنة ٢٣هـ وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً. انظر أسد الغابة ٣١٤/٢، تقريب التهذيب ٤١٢/١.

(٤٨) انظر صحيح البخاري كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة ح (٦٣٩٨).

(٤٩) هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر، الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي، اليماني، سيد الحفاظ الأثبات. اختلف في اسمه على أقوال جمّة، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر. حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً، طيباً، مباركاً فيه، لم يلحق في كثرتة، وعن أبي، وأبي بكر، وعمر، وأسامة، وعائشة، والفضل، وبصرة بن أبي بصرة، وكعب الخير. حدّث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين. سكن المدينة، ومها كانت وفاته. قال الخليفة: توفي أبو هريرة سنة ٥٧هـ. وقال الهيثم بن عدي: توفي أبو هريرة سنة ٥٨هـ. وقال الواقدي: توفي سنة ٥٩هـ وهو ابن ٧٨ سنة. قيل مات بالعقيق وحمل إلى المدينة، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان أميراً على المدينة لعنه معاوية بن أبي سفيان. أخرجه أبو نعيم، وأبو موسى مختصراً، وأخرجه أبو عمر مطولاً. انظر أسد الغابة ٢٥٨/٣، سير أعلام النبلاء ٢/٤.

(٥٠) انظر صحيح البخاري كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة ح (٦٣٩٩).
(٥١) تقدم تخريجه.

(٥٢) هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر بن ضَمَضَم الأنصاري، ابن زيد بن حَرَام بن جُنْدُب بن عامر بن غَنَم بن عَدِي بن النجار، الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتاً. روى عن النبي ﷺ علماً جمّاً، وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاذ، وأسيد بن الحُضَيْر، وأبي طلحة، وأمه أم سليم بنت ملحان، وخالته أم حَرَام، وزوجها عبادة بن الصامت، وأبي ذر، ومالك بن صَعَصَعَة، وأبي هريرة، وفاطمة النبوية، وعدة، وعنه خلق عظيم. اختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره، فقيل: توفي سنة ٩١هـ، وقيل: سنة ٩٢هـ، وقيل: سنة ٩٣هـ، وقيل: سنة ٩٠هـ. قيل: كان عمره ١٠٠ سنة و٣ سنين، وقيل: ١٠٠ سنة و١٠ سنين، وقيل: ١٠٠ سنة و٧ سنين، وقيل: بضع وتسعون سنة. انظر أسد الغابة ٧٩/١، سير أعلام النبلاء ٣٩١/٥.
(٥٣) تقدم تخريجه.

(٥٤) هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم السهمي أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادة الفقهاء مات رضي الله عنه في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف على الراجح، سنة ٦٣هـ، وقيل: سنة ٦٥هـ. بمصر. وقيل:

سنة ٦٧هـ بمكة. وقيل توفي سنة ٥٥هـ بالطائف، وقيل سنة ٦٨هـ، وقيل سنة ٧٣هـ. وكان عمره ٧٢ سنة،
وقيل ٩٢ سنة. انظر أسد الغابة ١٥٧/٢، سير أعلام النبلاء ٧٥/٥، تقريب التهذيب ٣١٥/١.

(٥٥) انظر صحيح البخاري كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ح (١٠) وكتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي ح (٦١١٩) وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل ح (٤١) وسنن أبي داود أول كتاب الجهاد باب في المحجرة هل انقطعت ح (٢٤٨١) وسنن الترمذي كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ح (٢٦٢٧) وسنن النسائي كتاب الإيمان وشرائعه باب صفة المسلم ح (٤٩٩٦) وسنن الدارمي من كتاب الرقاق باب في حفظ اليد ح (٢٧١٦) ومسنند الإمام أحمد بن حنبل مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ١٦٢/٢ ح (٦٥١٥) و١٩٢/٢ ح (٦٨٠٦) و١٩٤/٢ ح (٦٨٣٥) و٢٠٢/٢ ح (٦٨٨٩) و٢٠٥/٢ ح (٦٩١٢) و٢٠٩/٢ ح (٦٩٥٣) و (٦٩٥٥) و٢١٢/٢ ح (٦٩٨٢) و (٦٩٨٣) ومسنند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ١٥٣/٣ ح (١٢٥٨٣) ومسنند فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله تعالى عنه ٢٢/٦ ح (٢٤٠١٣).

(٥٦) هو الصحابي الجليل الإمام، المجاهد، مفتي المدينة، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج. استشهد أبوه مالك يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخدق، وبيعة الرضوان. وحديث عن النبي ﷺ فأكثر، وأطاب، وعن أبي بكر، وعمر، وطائفة. وكان أحد الفقهاء المجتهدين. قال الواقدي وجماعة: مات سنة ٧٤هـ، ولابن المديني - مع جلالاته - في وفاة أبي سعيد قولان، شدّ بهما ووهم، فقال إسماعيل القاضي: سمعته يقول: مات سنة ٦٣هـ. وقال البخاري: قال علي: مات بعد الحرة بسنة. انظر سير أعلام النبلاء ١٦٣/٥، تقريب التهذيب ٢٣٢/١.

(٥٧) انظر صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب بعث علي بن أبي طالب؛ وخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع ح (٤٠٩٤) وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح (١٠٦٤) ومسنند الإمام أحمد بن حنبل مسند أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ٤/٣ ح (١١٠٢١).

(٥٨) هو محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي. صاحب الجامع والعلل الضمير الحافظ العلامة، طاف البلاد وسمع خلقاً كثيراً من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين وغيرهم، وروى عنه محمد بن المنذر شكر والهيثم بن كليب وأبو العباس المهبوبي وخلق. ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر. وقال أبو سعد الإدريسي: كان أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف كتاب الجامع والعلل والتواريخ تصنيف رجل عالم متقن كان يضرب به المثل في الحفظ. ولد

سنة ٢٠٩ هـ ومات بترمذ في رجب سنة ٢٧٩ هـ. انظر طبقات الحفاظ ٥٤/١، وفيات الأعيان ٢٧٨/٤، الوافي بالوفيات ٥٤/٢، الأعلام ٣٢٢/٦.

(٥٩) انظر سنن الترمذي كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ح (٢٦٤٠) وقال حديث حسن صحيح وسنن ابن ماجه كتاب الفتن باب افتراق الأمم ح (٣٩٩١).

(٦٠) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، المالكي الشهير بالشاطي، أبو إسحاق، محدث، فقيه أصولي، لغوي، مفسر. مات في شعبان سنة ٧٩٠ هـ. من مؤلفاته: عنوان التعريف بأسرار التكليف في الأصول، شرح على الخلاصة في النحو في أسفار أربعة كبار، الموافقات في أصول الأحكام، عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق، الاعتصام. انظر معجم المؤلفين ١١٨/١، موسوعة الأعلام ٣٩٨/١. (٦١) انظر الاعتصام ١٨٩/٢-٢٨٩.

(٦٢) انظر صحيح البخاري كتاب الإيمان باب «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» فسماهم المؤمنين ح (٣١) وكتاب الديات باب قول الله تعالى «وَمَنْ أَحْيَاهَا» ح (٦٤٨١) وصحيح مسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ح (٢٨٨٨) وسنن ابن ماجه كتاب الفتن باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما ح (٣٩٦٤).

(٦٣) انظر صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما جاء في قاتل النفس ح (١٢٩٩) ومسند الإمام أحمد بن حنبل مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ٤٣٥/٢ ح (٩٦١٦).

(٦٤) هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. ولد سنة ١٢٨٣ هـ وتوفي سنة ١٣٣٢ هـ. انظر الأعلام للزركلي ١٣٥/٢، معجم المؤلفين ١٥٧/٣.

(٦٥) انظر الجرح والتعديل للقاسمي ٣.

(٦٦) انظر الجرح والتعديل للقاسمي ٧-٨.

(٦٧) انظر تاريخ الجهمية والمعتزلة ٥٦.

(٦٨) انظر جمال الدين القاسمي وعصره ٢٥٠.

(٦٩) انظر جمال الدين القاسمي وعصره ٢٤٩.

(٧٠) هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراي ابن تيمية، الشيخ الإمام العالم العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث شيخ الإسلام نادرة العصر ذو التصانيف والذكاء والحفاظة المفرطة تقي الدين أبو العباس ابن العالم المفتي شهاب الدين ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات مؤلف الأحكام، وتيمية لقب جده الأعلى، ولد ببحران عاشر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ وتحول به أبوه إلى

دمشق سنة ٦٦٧هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ. وسمع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر والكمال بن عبد وابن أبي الخير وابن الصيرفي والشيخ شمس الدين والقاسم الإربلي وابن علان وخلق كثير وبالغ وأكثر، وقرأ بنفسه على جماعة، وانتخب ونسخ عدة أجزاء وسنن أبي داود ونظر في الرجال والعلل، وصار من أئمة النقد ومن علماء الأثر مع التدين والتأله والذكر والصيانة والتزاهة عن حطام هذه الدار والكرم الزائد، ثم إنه أقبل على الفقه ودقائقه وغاص على مباحثه ونظر في أدلته وقواعده وحججه والإجماع والاختلاف حتى كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من الخلاف واستدل ورَّجَّح واحتهد. انظر ذيل طبقات الحنابلة ٣٣٨/١، الرواف بالوفيات ٣٧٥/٢، المنهل الصافي ٦٨/١، الأعلام للزركلي ١٤٤/١، معجم المؤلفين ٢٦١/١.

(٧١) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي ولد سنة ٦٩١هـ، وسمع على التقي سليمان وأبي بكر بن عبد الدائم والمطعم وابن الشيرازي وإسماعيل بن مكثوم والطبقة وقرأ العربية على ابن أبي الفتح والمجد التونسي وقرأ الفقه على المجد الحراني وابن تيمية ودرس بالصدرة وأم بالجوزية وكان لأبيه في الفرائض يد فأخذها عنه وقرأ في الأصول على الصفي الهندي وابن تيمية وكان حريء الجنان واسع العلم عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل يقتصر له في جميع ذلك وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه. وقال ابن كثير: كان ملازماً للاشتغال ليل نهار كثير الصلاة والتلاوة حسن الخلق كثير التودد لا يحسد ولا يحقد، ثم قال: لا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه وكان يطيل الصلاة جداً ويمد ركوعها وسجودها، وكان مغربى يجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم وله من التصانيف شيء كثير، وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف وهو طويل النفس فيها يتعان الإيضاح جهده فيسهب جداً ومعظمها من كلام شيخه. مات في ثالث عشر شهر رجب سنة ٧٥١هـ. انظر الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٤٨٠/١، الرواف بالوفيات ٢٦١/١، ذيل طبقات الحنابلة ٣٦١/١، الأعلام للزركلي ٥٦/٦.

(٧٢) هو محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي، فيلسوف، كان رأساً في العلوم العقلية، علامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات. علت منزلته عند هولاء فكان يطيعه فيما يشير به عليه. ولد بطوس قرب نيسابور وابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً، واتخذ خزانة ملاءها من الكتب التي نهب من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو أربعمائة ألف مجلد، وقرر منجمين لرصد الكواكب وجعل لهم أوقافاً تقوم بمعاشهم، وكان هولاء يمدونه بالأموال، وصنف كتباً جليلة. ولد سنة ٥٩٧هـ وتوفي سنة ٦٧٢هـ.

(٧٣) هو محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائفي الحافمي الأندلسي المعروف بابن عربي صاحب المصنفات في التصوف وغيره. ولد في شهر رمضان سنة ٥٦٠هـ بمرسية. ذكر أنه سمع بمرسية من ابن بشكوال وباشيبيلية وبمكة كتاب الترمذي وسمع بدمشق وبغداد.

وسكن الروم. قال ابن مسدى في جملة ترجمته: كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات وكتب لبعض الولاة ثم حج ولم يرجع إلى بلده وروى عن السلفي بالإجازة العامة وبرع في علم التصوف وله فيه مصنفات كثيرة ولقي جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه. قال الشيخ شمس الدين: قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: هذا شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً، هكذا حدثني شيخنا ابن تيمية الحراني به عن جماعة حدثوه عن شيخنا ابن دقيق العيد أنه سمع الشيخ عز الدين يقول ذلك، وحدثني بذلك المقاتلي ونقلته من خط أبي الفتح بن سيد الناس أنه سمعه من ابن دقيق العيد انتهى. قال صاحب الوافي بالوفيات: وقفت على كتابه الذي سماه الفتوحات المكية لأنه صنفه بمكة وهو في عشرين مجلدة بخطه فرأيت أثناءه دقائق وغرائب وعجائب ليست توجد في كلام غيره وكأن المنقول والمعقول ممتلآن بين عينيه في صورة محصورة بشاهدها متى أراد أتى بالحديث أو الأمر ونزله على ما يريد هذه قدرة ونهاية اطلاع وتوقد ذهن وغاية حفظ وذكر ومن وقف على هذا الكتاب علم قدره وهو من أجل مصنفاته. توفي سنة ٦٣٨هـ. انظر الوافي بالوفيات ١٠/٢، معجم المؤلفين ٤٠/١١، الأعلام للزركلي ٢٨٢/٦.

(٧٤) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن مالك بن الخشخاش بن الحارث ابن مجفر بن كعب بن العنبر بن عمرو بن محمب العنبري، قاضي البصرة وخطيبها. ولد سنة ١٠٠هـ، وتوفي سنة ١٦٨هـ. ولي قضاء البصرة بعد سوار، وروى له مسلم. قال الحافظ في تقريب التهذيب: ثقة فقيه لكن عابوا عليه مسألة تكافؤ الأدلة. انظر الوافي بالوفيات ٣٠٧/٦، طبقات الفقهاء ٩١/١، تقريب التهذيب ٣٧٠/١.

(٧٥) انظر محاسن التأويل ١٤٢/٢.